

المواضيع الأدبية :

الموضوع الأول : (القضايا الوطنية والقومية)

شغلت القضايا الوطنية و القومية اهتمام الأدباء العرب و فكرهم ، فقد ظلَّ الشرق رازحاً تحت حكم العثمانيين أربعة قرونٍ ذاق فيها الشعب العربيُّ ألوان الاضطهاد و الاستعباد و الجور كلها ، ما دفع أصحاب النفوس الحرّة إلى أن تلتمس لأصواتها الحبيسة و أفكارها السجينة منبراً حرّاً ، تعلن من فوقه ثورتها على الظالمين ، و هؤلاء هم فئة الأدباء و الشعراء .

..... أكدَّ الأدباءُ على الدعوة لإنقاذ البلاد و ترك الغفلة بسبب ما حلَّ بالوطن و الأمة من بلاء المستعمر العثماني الذي عاثَّ فساداً في ربوع الوطن و أصاب البلاد بالمصائب المتتالية ، فهذا جميل صدقي الزهاويُّ يدعو الشباب إلى ترك الغفلة و تلبية إغاثة الوطن لإنقاذه من المحن في قوله :

ألا فانتبه للأمر حَتَّامٌ تغفَلُ أما علِّمتك الحال ما كنت تجهلُ
أغث بلداً منها نشأت فقد عدتُ عليها عوادٍ للدمار تعجَّلُ

..... و كثيراً ما لجأ المستعمر إلى تجهيل البلاد و الشعوب ليسهل عليه السيطرة على مقدرات البلاد و نهب ثرواته ، فكان الأدباءُ و الشعراءُ بالمرصاد ، فهذا جميل صدقي الزهاويُّ يعبر عن ذلك في قوله :

فترفعُ بالإعزاز من كان جاهلاً و تخفضُ بالإذلال من كان يعقلُ

..... و آخرون بيَّنوا همجية الدولة العثمانية و سياساتها الفاسدة و وعودها الكاذبة بالإصلاح و تحسين وضع الشعب و لكن دون أن تحقق شيئاً من تلك الوعود و هذا وضَّحهُ الزهاوي في قوله :

ما هي إلا دولة همجيَّة تسوس بما يقضي هواها و تعملُ

و ما فئة الإصلاح إلا كبارِ يغزَّك بالقطر الذي ليس يهطلُ

..... و آخرون وضَّحوا جرائم العثمانيين و ممارساتهم الوحشية و الغير إنسانية بحق الشعب العربي حيث ظهر ظلمهم واضحاً في كل مكان ، فحيثُ ما حلَّ الدمارُ و الفسادُ و الظلم و الخراب و نجدُ ذلك جلياً في قول الزهاوي :

لهم أثرٌ للجورِ في كلِّ بلدةٍ يمثِّلُ من أطماعهم ما يمثِّلُ

..... كما أوضح الأدباء أثر ظلم العثمانيين في البلاد المتمثِّل من رحيل العلماء بسبب ظلمهم و التنكيل بهم و تشريدهم ، و هذا ما وضَّحهُ الزهاويُّ الذي بيَّن أن الكثير من العلماء ظهرُوا في الأرض العربية لكنَّهم رحلوا عنها بسبب الظلم قائلاً في ذلك :

و كم نبغت فيها رجالٌ أفاضلٌ فلما دهاها العسفُ عنها ترَّحلوا
.....و لم يكتفِ الشعراءُ بذلك فقد بيَّنوا ظلمَ العثمانيين الذي طالت أيديه إلى
سوريا و كل أنحائها و ظهرت آثارُ ظلمهم في كلِّ ترابها الطاهر ، و يقولُ الزهاوي
في ذلك :

فطالت إلى سوريا يدُ عسفهم تحملها ما لم تكن تتحمَّلُ
.....و الكثيرُ من الأدباءِ أوضَّحَ مصيرَ الشَّعبِ العربي في ظل الاحتلال
العثماني الذي يكونُ بالرضى بالذلِّ و الهوانِ أو الموت عند محاولة النهوض ، و
هذا ما أوضَّحه جميلُ صدقي الزهاوي في قوله :
إذا سكتَ الإنسانُ فالهَمُّ و الأسى و إن لم يسكتُ فموتٌ معجلٌ
قصيدة عرس المجد :

..... وقد عبَّرَ الأدباءُ عن فرحهم بجلاء المستعمر الغربي عن لأرض الوطن
داعين الحرية للتباهي و الفرح على أرض الوطن الغالي بعد الانتصار على
المستعمر الغربي و في ذلك يقول عمر أبو ريشة :

يا عروس المجدِ تيهي و اسحبي في مغانينا ذيول الشَّهبِ

.....وقد أشاد الكثير من الأدباء بتضحيات الشهداء الذين عطَّروا تراب الوطن
بدمائهم الطاهرة الزكية حتى لا يبقى المستعمر رازحاً في ربوع الوطن ، فقد ضحَّوا
بالغالي و النفيس في سبيل تحريره، و هذا ما بينه عمر أبو ريشة في قوله:

لن تري حفنة رملٍ فوقها لم تعطرُ بدما حرَّ أبي

..... و الكثير من الأدباء ندَّدَ بالمستعمر الغربي و بيَّنَ زواله و زوال الظلم معه
دون تحقيق غاياته و أهدافه على أرض الوطن بسبب تضحيات الشهداء التي روت
تراب الوطن بكلِّ غالٍ و نفيس ، و نجد ذلك واضحاً عند عمر أبو ريشة الذي أذِنَ
بزوال و سقوط البغي ضعيفاً دون تحقيق أهدافه قائلاً:

درج البغيُّ عليها حقبَةً و هوى دونَ بلوغ الأربِ

و ارتمى كبر الليالي دونها لين النَّابِ كليل المخبِ

.....ونجد الكثير من الأدباء أبرزوا تغنيهم بانتصار الحقِّ مهما تجرَّ الظلم و
الطغيان و مهما كثرت المصائب و المحن فهذا منبرٌ حرٌّ يعلو صوته بين أصوات
الأدباء و هو عمر أبو ريشة القائل :

لا يموت الحقُّ مهما لطمت عارضيه قبضة المغتصبِ

.....و قد تغنى الأدياء بصفات الإنسان العربي و بماضيه المجيد و بطولاته و مروءاته التي ملأت الأفاق صداها ، و بينوا طموحاته التي لا تنتهي و في هذا المجال يظهر عمر أبو ريشة زهو هذا الإنسان في صحرائه قائلاً :

أصيدُ ضاقت به صحراؤه فأعدتُّه لأفقي أرحب
هَبَّ للفتح فأدمى تحته حافرُ المهرِ جبين الكوكبِ

..... و لم يكتفِ الشعراء و الأدياء بذلك قط بل أظهروا دور الأبطال في حماية الوطن من كلِّ خطرٍ محددٍ به و من كلِّ عدوٍّ يتربصُّ به الشرُّ و الهوان و هذا ما بيّنه في قوله :

هذه تربتنا لن تزدهي بسوانا من حماةٍ ندب

..... و قد أكد الكثير من الأدياء دور الأبطال في بناء القوة من الضعف بعد التخلص من الاحتلال الذي نشرَ التخلف و الذلَّ في كلِّ أرجاء الوطن و هذا ما يؤكدُ عمر أبو ريشة في قوله :

نحنُ من ضعفٍ بنينا قوَّةً لم تُلن للمارجِ المُلتهبِ
انتصار تشرين :

.....لقد أكد الكثير من الأدياء ديمومة أعراس المقاومة و التضحية في أرض الوطن بعد سنواتٍ كثيرة من الذلِّ و الهوان ، فالكثير من المصائب مرّت و توالى على أرض الوطن الغالي و هذا ما تغنى به سليمان العيسى في قوله الذي يبين فيه أهمية انتصار تشرين قائلاً :

أيّارُ عرسك معقودٌ على الجبلِ دمُ الشَّبابِ كتابُ الحبِّ و الغزلِ

.....لقد أكد الكثير من الأدياء أن انتصار تشرين أزال الآثار النفسية السيئة لنكسة حزيران عام ١٩٦٧ التي أرهقت كاهل الأمة العربيّة و ربط بذلك الماضي المجيد بالحاضر المشرف في أرض الوطن و هذا ما نادى به سليمان العيسى قائلاً :

خرجتُ من كفنِ التاريخِ أغنيَّةً أولى القصائدِ كانت في فمِ الأزلِ

.....لقد أظهر الكثير من الأدياء الغرب الإصرار على المقاومة و الاستمرار في معارك النضال و المواجهة ضد الصهاينة حتى تحرير كامل الأرض العربية ، كان للأدياء الدور الطليعي في ذلك حيث يقول سليمان العيسى :

تعبتُ و السيفُ لم يركع و مزقني ليلي و أرضي صلاة السيفِ لم تنزلِ

.....لقد تغنى الأدياء و الشعراء بانتصار تشرين الذي بيّضَ التاريخ العربي في العصر الحديث بعد الكثير من النكسات و الانهزامات بسبب حالة الضعف من توالي

المحن و الاستعمار على أرض الوطن الذي خَلَفَ الكثير من الولايات و هذا ما نجدهُ
عند سليمان العيسى حين قال :

تشرين ما زال في الميدان يا وطني بين المحيطين فاسحق غيمة الشلل
و انزل هنا مرّة أخرى على بردى و بالشهيد بعطر الوحدة اكتحل

..... و لم يكتفِ الأدباء بذلك فقط بل بين الأدباء بأن الأمل بالتححرر و الاستقلال و
الحرية لا يكون إلا على يد جيل المقاومة البطل الذي لا يرضى بالذلّ و الهوان و لا
يقبل بديلاً عن التحررّ يعرفه الشاعر و ك إنسانٍ عربي بأنه الأمل لتحرير فلسطين
و هذا ما قاله سليمان العيسى :

أطفال تشرينٍ ما ماتوا و لا انطفؤوا و لا ارتضوا عن ظلال السيف بالبدل
أطفالُ تشرين يا صحراءٍ أعرفهم لا يخلط الموت بين الجدّ و الهزل
أطفالُ تشرين يا وعداً أخبئه للمعجزات لعرس العرس للقبل
الجسر : محمود درويش

.....لقد أكد الأدباء على الإصرار على العودة إلى أرض فلسطين بأيّ شكلٍ كان و
بأيّ وسيلةٍ كانت فالعودة حتمية و مصيرية و لا بد منها مهما طال الزمن و مهما
كثرت المصائب و المحن و هذا ما نادى به أحمد درويش قائلاً :

مشياً على الأقدام

أو زحفاً على الأيدي نعود

قالوا

و كان الصخر يضم

و المساء يداً تقود

.....لم ينسَ الشعراء و الأدباء تسلح الفلسطيني بالإيمان و الإرادة في سبيل
العودة إلى أرض الوطن و الأجداد ، هذه الإرادة و هذا الإيمان الذين منحاه القوة و
الصبر من أجل مسيرة كفاحٍ مرير لا يعلم بها إلا الله وحده و هذا ما يظهرُ واضحاً
في قول محمود درويش :

تحسس المفتاح ثم تلا

من القرآن آيةً

..... و قد أظهر الأدباء جرائم الصهاينة الهمجية و الوحشية التي اقترفوها بحق العائدين إلى فلسطين متمثلةً بقتلٍ و تشريدٍ و ذبحٍ و اغتصابٍ نال الكثير من العائدين منهم و في ذلك يقول محمود درويش :

كان الشيخ يسقط في مياه النهر

و البنت صارت يتيمة

كانت ممزقة الثياب

و طار عطر الياسمين

..... لقد سخر الأدباء و الشعراء من بطش الصهاينة الذين أصبح القتل عندهم عادةً كالتدخين بحق أناس أبرياء لا ذنب لهم و هذا ما أظهره محمود درويش حين قال :

و برغم أنّ القتل كالتدخين

لكن الجنود الطيبين

الطالعين على فهارس دفتر

قذفته أمعاء السنين

لم يقتلوا الاثنين

..... رغم كلّ الصعاب و المحن بين الشعراء و الأدباء بأن حلم العودة إلى أرض فلسطين يكبر في نظر الحالمين بالعودة رغم كثرة القتلى الحالمين بالرجوع إلى مهد ولادتهم و مسقط رأسهم و نجد ذلك واضحاً عند محمود درويش قائلاً:

و الصمت خيم مرّة أخرى

و عاد النهرُ

يبصقُ ضفتيه

قطعاً من اللحم المفتت

في وجوه العائدين

..... و لقد أظهر الأدباء تعاضم حلم العودة و الأمل به رغم كل الصعاب و المحن و رغم الجرائم و الذلّ و القتل و التشريد و قد بيّن و رمزَ لذلك محمود درويش في قوله :

الجسرُ يكبرُ كلَّ يوم كالطريق
و هجرة الدم في مياه النهر تنحت
من حصى الوادي تماثيلاً لها لون
النجوم
و لسعة الذكرى
و طعم الحب حين يصبح أكبر من عبادة

الموضوع الثاني (الغربة و الاغتراب في الأدب المهجري)

تناول الأدب المهجري مشكلات إنسانية أفرزتها ظروف الغربة ، فمنذ أواخر القرن التاسع عشر شرعت مراكب المهاجرين العرب تنزح إلى المهاجر الأمريكية ، و لاسيما من سورية و لبنان ، و أرجع الباحثون ذلك إلى طموح كامن فيهم بالفطرة من أجداد جابوا القفار و خاضوا البحار ، و إلى العامل الاقتصادي فقد عاشوا في ظلّ دولة عثمانية غاشمة نهبت مقدرات البلاد و ما رست صنوف القهر و الظلم و التعذيب بحق رعاياها سبباً في هجرتهم ، وكان من بينهم فئة من الشباب حملوا بين ضلوعهم قلوباً متوثبة للحرية ، و امتلكوا فكراً نيّراً أولئك هم الأدباء المهجريون

وطني جورج صيدح

عبر الأدباء عن الشوق لأوطانهم التي تركوها عنوة و قسراً حيث أجبر الكثيرون على ترك أوطانهم بسبب ظلم المستعمر العثماني و الغربي بعده و خاصة من سوريا و لبنان ، فشرعت مراكب الغربة تحمل معها نفوساً مشتاقة إلى أوطانها قبل رحيلها ، و في ذلك يقول جورج صيدح الذي لم يكن مختاراً لغربته:

ما رست حيث رست فلك النوى لو أباحوا لي في الدفة يد

..... كان الحنين عاماً اجتاحوا النفوس و هي في بداية رحلة الغربة عن أرض الوطن و لا زالت سفن الغربة تحمل المغتربين إلى بلاد بعيدة حيث لا أهل و لا أصدقاء و لا و نيس و ملامح الديار غابت خلف البحر ، ففي ذلك يقول جورج صيدح :

غاب خلف البحر عني شاطئ
كل ما أرقني فيه رقد
..... و كانت دوافع الإغتراب كثيرةً و أسبابها متعددة و أبرزها قلة الرزق في أرض الوطن بسبب المستعمر الذي نهب خيرات البلاد فانتشر الفقر و الجوع بين عامة الشعب و هذا ما وضحه الأدباء و منهم جورج صيدح حين قال :

ما رضيتُ البين لولا شدة وجدتني ساعة البين أشد

..... و قد عانى الكثير من الأدباء من التمزق الروحي بسبب البعد عن الوطن و الأهل و لأن النفس تبقى تواقّة للحنين إلى الوطن رغم الزمن الذي فرّق شملهم فكيف و إذا كانت هذه النفس نفس الأديب و الشاعر المبدع نجد ذلك واضحاً عند جورج صيدح حين قال :

هل درى الدهر الذي فرقنا أنه فرّق روحاً عن جسد

..... و ربما كان تحقيق الأمان و جمع النال من أهم أسباب الغربة التي جعلت المغترب يدفع عمره ثمناً لها و لتحقيق هذه الغايات و في ذلك يقول جورج صيدح :

فتجشمتُ العنا نحو المنى و تقاضاني الغنى عمراً نغد

.....و تبقى المعاناة من انقطاع أخبار المحبوبة سبباً لعذاب المغترب و حزنه الذي لا ينتهي و الذي يقض مضجعه و نلمس ذلك عند جورج صيدح الذي انقطعت أخبار محبوبته عنه و يسأل الرياح أن تحمل أخبارها إليه قائلاً في ذلك :

وطني حتّام تترتد الصبا دون أن تحمل من سلماي رد

المهاجر : نسيب عريضة :

.....عانى الأدياء في غربتهم من استمرار الرحيل و عدم الاستقرار بسبب ضيق العيش مما ترك حالة من الضياع في بلاد الغربية التي لا ترحم و مسبباً ألماً داخلياً جعل من المغترب مشتتاً في غربة قاسية و هذا ما وضحه نسيب عريضة قائلاً :

أحاضر أنت أم بادٍ ؟ أمهتجرُ في الغرب؟ أو هائمٌ في بيدٍ قحطان

..... و قد عانى الكثير و شكى من التمزق الروحي بسبب الغربة فالمغترب صاحب روح حائرة لا تعرف الاستقرار نفسين واحدة يعيش بها و أخرى تسكن في الوطن و في ذلك يقول نسيب عريضة :

من أنت ما أنت قد وزعتَ روحك في عهدين من شاسع ماضٍ و من داني أنا المهاجر ذو نفسين واحدة تسير سيري و أخرى رهنٍ أوطاني

.... و رغم الغربة و الاغتراب و البعد و عدم الاستقرار بقي المغتربون و في مقدمتهم الأديب و الشاعر منتمياً إلى قيم الوطن الروحية فلا شيء يستطيع أن ينزعه عن وطنه و حبه له و إيمانه به و في ذلك يقول نسيب عريضة :

ما إن أبالي مقامي في مغاربها و في مشاقها حبّي و إيماني

.....و بقي الشوق و الحنين للوطن سبباً في الرغبة في إنهاء الغربة و العودة إلى الوطن و إن لم تكن متاحة تلمس ذلك في الرياح القادمة من ناحية الوطن و المحملة برائحة الأهل و الأحبة و هذا ما فسره نسيب عريضة قائلاً :

صحي دعوا النسما تلمسني فقد عرفتُ بها أنفاس كئباني

تدفقي يارياح الشرق هائجة فأنت لا شك من أهلي و أوطاني

الغاب : جبران خليل جبران :

.....و قد عانى المغترب من بشاعة العالم المادي الذي كان مسيطراً في الغرب حيث يزن و يقيس كل شيء و ينسى دور القلب الذي يرتاح فيه الإنسان من هموم الحياة ، فقد استنكر الشعراء المجتمع المادي في المهجر و هرب إلى عالم خيالي يشبه معالم وطنه إلى حد كبير و هذا ما نجده عند جبران خليل جبران حين قال :

ليس في الغابات حزنٌ لا و لا فيها الهموم فإذا هبَّ نسيمٌ لم تجئ معه السموم

.....و بسبب طغيان العالم المادي على الحياة في المهجر ، دعا الكثير من الأدباء إلى العودة للحياة الفطرية في الغابات لخالية من القساوة و الشقاء و دعا الكثير إلى اتخاذ الطبيعة ملجأً لراحة النفس و الابتعاد عن الهموم و هذا ما دعا إليه جبران خليل جبران حين قال:

هل اتخذت الغابَ مثلي منزلاً دون القصور و تتبعت السواقي و تسلقت الصخور

..... كما دعا الأدباء للاستمتاع بعالم الغاب و نوره و عصره الذي يجلب الراحة وطمأنينة للنفس هرباً من العالم المادي الذي يضغط على الروح و يشعرها بالحزن و هذا ما نجده عند جبران خليل جبران حين قال ك

هل شربت الفجرَ خمراً في كؤوس من أثير هل جلست العصر مثلي تحت جفنا العنب و العناقيد تدلت كثيرات الذهب

.....كما دعا الكثير من الأدباء إلى الزهد في المستقبل و الدعوة إلى تأمل الطبيعة و نسيان الماضي الحزين و التفكير في ملكوت الطبيعة التي تجلب الراحة و الأمان ، و نجد ذلك واضحاً في قول جبران خليل جبران :

هل فرشت العشب ليلاً و تلحقت الفضا

زاهداً في ما سيأتي ناسياً ما قد مضى

.....كما دعا أغلب الأدباء في المهجر الشمالي إلى تأمل الطبيعة و الانصراف عن الدنيا و توضيح عرضية وجود البشر في هذه الحياة التي نهايتها الموت و هذا ما أكد عليه جبران خليل جبران حين قال :

أعطني الناي و غنّ و انس داءً و دواء

إنما الناس سطورٌ كتبت لکن بماء

موضوع ظواهر وجدانية (الشعر الوجداني)

المقدمة: الشعر الوجداني هو الشعر الذي تبرز فيه ذات الشاعر سواءً أكان يعبر عن إحساساته و مشاعره الخاصة أم كان يصور مشاعر الآخرين ، و يلونها بخواطره و أفكاره، و أن يكون للشاعر كيانٌ مستقبليّ نظرة متميزة للحياة و الناس ، و وجدان يقظ يرصد المجتمع و الطبيعة و النفس الإنسانية . ولعلّ من أبرز ما يتسم به الشعر الوجداني شدة المعاناة و جيشان العواطف و صدق التجربة.

و من أهم دوافع هذا النوع من الشعر الألم و مرارة التجربة، و هذا ما دفع الشاعر إلى البوح بما يجول في نفسه من مشاعر متوهجة تلهب قلبه ترقق حسّه تتفاعل الذات المبدعة مع موضوعها.

الوطن عدنان مردم بك

..... فقد أوضح الأدباء استمرار حبّ الديار إلى ما بعد الموت ، موضحين بذلك منزلة الديار السامية في نفوس أبنائها البررة ، تلك الديار التي كانت عقيدةً و ديناً للآباء و فريضة على الأبناء حملها في قلوبهم ، و في ذلك يقول عدنان مردم بك :

حبُّ الدِّيارِ شريعةٌ لأبوةٍ في سالفٍ و فريضةٌ لجدودِ
كم مهجةٍ إثر الترابِ دفينهٍ عصفتُ مُصَفِّفةً بغيرِ وريدِ
تهفو إلى الأوطانِ من حجبِ الرؤى بحنينٍ مشتاقٍ و وجدِ عميدِ

..... و كثيراً ما دعا الأدباء إلى الوقوف بخشوع أمام عظمة الوطن و تاريخه المجيد فالوطن في نظر أبنائه كتاب مرقم منذ فجر التاريخ دون فيه حضارة الأجداد و بطولاتهم و إنجازاتهم على مرّ العصور و في ذلك يقول عدنان مردم بك :

قفْ خاشعاً دونَ الدِّيارِ موافياً حقَّ الدِّيارِ على المدى بسجودِ
هذي الدِّيارُ صحائفٌ مرقومةٌ جمعتُ من الأبناء كلَّ تليدِ

..... و على مرّ الزمان و العصور الدّفاع عن الوطن واجب مقدّس نادى به جميع من عاش على ترابه الطاهر الشرفاء و الأدباء و الشعراء و القادة و العامّة لأنّ الوطن في نظرهم شرفهم و عن الشرف و العرض كلُّ يدافع و يحمي و يصون ، و في ذلك يقول عدنان مردم بك :

ما كان بدعاً و الحمى شرفُ الفتى صونُ الدِّيارِ بمقلّةٍ و كبودِ

..... و يبقى الحنين إلى الوطن و الشوق إليه سمة من سمات نفس الأديب التواقّة إلى حضان الوطن الدافئ فليس مستغرباً التغمّي باسمه حبّاً كحمامة تسجع و هذا ما نجده عند عدنان مردم بك حين قال:

وطني وتلك جوارحي لك من هوى هتفت كساجعةٍ بجرسٍ نشيدٍ

.... لقد كان التغني بأمجاد الوطن و تاريخه المجيد نهج الكثير من الأدباء و الشعراء عبر مسيرتهم الأدبية في مراحل مختلفة من العصر الحديث حيث بيّت الكثير منهم صفحاته المشرفة و المشرقة منذ فجر التاريخ و في ذلك يقول عدنان مردم بك :

هذي الديار صحائف مرقومة جمعت من الأنباء كلّ تليد

.....ولقد أوضح الأدباء أن يد الفناء يصل إلى كلّ شيء جديد و معمر و كلّ ما هو من صنع الإنسان و لا شيء يبقى على حاله حتّى شباب المرء و في ذلك يقول الشاعر عدنان مردم بك حيث أوضح أنّ الفناء و البلى يطال كلّ أمر جديد :

يبلى على الأيام كلّ جديد و يدُ البلى تلوي بكلّ مشيد

لوعة الفراق : بدر الدين الحامد

....لقد أظهر الأدباء الحسرة على انقطاع الوصال الذي شبّهوه بالخيال الذي زال و اضمحلّ و تغير بعد فترة و تحول إلى بعدٍ و عناء أصاب قلوبهم و هذا ما أوضحه الشاعر بدر الدين الحامد حين تساءل عن اللقاء الذي كان في الماضي يجمعه بمحبوبته قائلاً

أكان التلاقي يا فؤادُ خيالاً نعمنا به ثمّ اضمحلّ و زالا

.....و قد أظهر الكثير من الأدباء سرعة زوال و انقضاء زمن الوصال بالمحبة هذا الزمان الذي رحل سريعاً قبل أن يكملوا وصالهم و نجد ذلك جلياً عند بدر الدين الحامد الذي أظهر الحسرة على انقضاء زمان الوصل سريعاً قائلاً :

و ليلاتنا ما بالهنّ و نحن لم نتّم وصالا قد شددن رحالا

.....و بين الكثير من الأدباء حرمان الوصال من المحبوبة بفعل الزمان النكد القليل الخير الذي سيطر على علاقتهما قبل أن يكملا وصالهما و أظهر هذا الجانب من العلاقات الإنسانية القائمة على الحب بدر الدين الحامد حين قال :

حرامٌ علينا أن ننال لبانة وهذا الزمان النكد صال و جالا

..... و كثيراً ما دعا الأدباء للربع المهجور بالسقيا فهي منازل الأحبة و مغنى الشباب و ملتقى الحبّ الذي رحل و بقيت ذكراه في قلوبهم و هذا ما نجده عند بدر الدين الحامد الذي دعا لمنازل الأحبة بالسقيا بعد أن أفسدتها يدُ الدهر و نالت منها قائلاً :

سقاك الحيا يا مربعاً عبثت به صروف الزمان الغادراتِ فحالا

..... و من الأدباء من بيّن عدم استغراب بكاء المحبّ و اتهامه بالجنون و إظهار
التعلق الشديد بالمحوبة هذا الاتهام الذي يعدّ سمة من سمات شعر الغزل الذي ينتهي
فيه الوصال بالفراق و نجدُ هذا عند بدر الدين الحامد القائل :

يقولون لي ما أنت إلا مخالطٌ بعقلك كم تذري الدموع سجالات
نعم صدقوا إني محبٌ منيّمٌ و لا بدع لأن دمع المتيمّ سالا

..... و لقد عبّر الأدباء و الشعراء عن أملهم بإعادة الوصال بعد انقطاعه لعلّ ذلك
يكون نهاية البعد و راحةً لقلب العاشق المتعب و الدعوة بعدم الحرمان من الوصال
و أظهر بدر الدين الحامد ذلك جلياً في تمنيه لعودة الوصال قائلاً :

لعلّ وصالاً منهم بعد نأيهم يوافي المعنى لا عدمت وصالاً

..... و كثيراً ما وصف الشعراء جمال المحبوبة و بيّنوا دقائق ذلك الجمال و نجدُ
ذلك عند الكثيرين منهم و هذا الجمال صلةً الهناء و السعادة لقلوبهم فبدر الدين
الحامد مثلاً يبين جمال و دلال المحبوبة قائلاً ك

حبيبٌ كما شاء الهناء مواصلاً يتيهُ جمالاً أو يمسُ دلالاً

..... و قد دعا الشعراء بحفظ زمن التمتعّ باللقاء بالمحوبة الذي يكاد يفوق الجنة
و الفردوس جمالاً و هذا المعنى ظهرَ عند بدر الدين الحامد الذي كان سعيداً في
ماضيه حيثُ كان الوصال بالمحوبة و كان مرتاح البال يتنعم بلقياها قائلاً :

رعى الله ما كنّا عليه فإنّه من الخلدِ و الفردوس أنعمُ بالآ

..... و قد تمنّى بعض الشعراء عدم اللقاء بالمحوبة بسبب الفراق الذي تلا الوصال
و هذا ما أظهره بدر الدين الحامد قائلاً :

فيا ليت أنى ما التقينا على هوى لبئس التناي إذ يكونُ مآلاً

الأمير الدمشقي : نزار قباني

..... إن التعبير عن الحزن الشديد لفقد الأحبة سمة من سمات شعر الرثاء الذي يعدّ
جزءاً لا يتجزأ من الشعر الوجداني لأنه يعتبرُ تعبيراً صادقاً لا مبالغة فيه ، و ذلك
لأنّ النفس الإنسانية تكونُ في أصدق حالاتها عند التعبير عن ألم الفقد و بخاصة إذا
كان الفقد ابن الشاعر و فلذة كبده و هذا ما أوضحه نزار قباني في رثاء ابنه الشاب
قائلاً :

مكسرةٌ كجفونِ أبيك هي الكلمات

و مقصوصةٌ كجناحِ أبيك هي المفردات

فكيف يغني المغني ؟

و قد ملأ الدمعُ كلّ الدواة

و ماذا سأكتبُ يا ابني ؟ و موتك ألغى جميع اللغات

..... و قد كان الذهول في تصوير مشهد الوفاة سمة من سمات شعر الرثاء منذ القديم و عدم معرفة التصرف الصحيح في هذا الموقف الرهيب الذي يرتبك فيه الإنسان و لا يعرف التصرف الصحيح و لا كيفية التعامل معه و هذا ما أظهره نزار قباني جلياً في وصف مشهد وفاة ولده قائلاً :

أشيلك يا ولدي فوق ظهري كمنذنة كُسرت قطعتين

و شعرك حقلٌ من القمح تحت المطر

و رأسك فب راحتي وردة دمشقية و بقايا قمر

أواجه كلَّ موتك وحدي و أجمع كلَّ ثيابك وحدي

..... و تعداد مناقب المرثي سمة من سمات قصيدة الرثاء على مرّ العصور و لعلّ ذلك تصبير الشاعر لنفسه و إظهار سبب حزنه الشديد و تبرير له أمام نفسه و أمام الآخرين و ليكون دليلاً على صدق مشاعره و هذا ما نجده في وصف نزار قباني لخصال ابنه الفقيد قائلاً :

سأخبركم عن أميري الجميل

عن الكان مثل المرايا نقاءً ، و مثل السنابل طولاً و مثل النخيل

و كان صديق الخراف الصغيرة ، كان صديق العصافير كان صديق الهديل

..... و كان ذهول الشاعر لفقدان الأحبة و حزنه الشديد سمة من قصيدة الرثاء فقد كان دائماً عدم تصديق الموت مظهراً من مظاهر هذه القصيدة و هذا ما نجده عند نزار قباني الذي رفض تصديق موت ابنه الشاب في مقتبل عمره قائلاً :

أحاول ألا أصدق أنّ الأمير الخرافيّ توفيق مات

و أنّ الجبين المسافر بين الكواكب مات

و أنّ الذي كان يقطف من شجر الشمس مات

..... لقد كان الأدباء يتمنون عودة من فقدوهم في الموت صفة و ميّزة أظهرها في شعرهم الذي كان نهايته الاستسلام لقضاء الله و قدره و قبولاً بأمر الله و لكن تمنى عودتهم من الموت أمنيةً تمنّاها جميعهم و هذا ما بيّنه نزار قباني قائلاً :

فيا قرّة العين كيف وجدت الحياة هناك

فهل ستفكر فينا قليلاً

و ترجع في آخر الصيف حتى نراك

أُتوفيقُ

إنِّي جبانٌ أمامَ رثائكُ

فارحم أباك

الموضوع الرابع الأدب الاجتماعي

الأدب الاجتماعي هو الأدب الذي يعنى بقضايا المجتمع ، لأن الصلة بينهما وثيقة لا تنفصم عراها ، فالأدب الجيد في أمة من الأمم هو الأدب الذي يُعنى بتصوير حياتها وتفكيرها وتاريخها ، وموضوعات هذا الأدب كثير و متعددة و متنوعة ، تتناول حياة المجتمع من جوانبها كلها ، فالأديب يحيا ضمن مجتمع ، وله علاقات اجتماعية مع من يعيش معهم و يخالطهم ، وهو ينقل ما يحسّ به، و يتأثر بالبيئة الخارجية السائدة في مجتمعه و منه يستمدُّ مادة أدبه ، فيستمدُّ قيمته الحقيقية من صدقه في التعبير عن هموم الشعب و آماله، و مدى ارتباطه بواقعه ، ففي الأدب الاجتماعي يستجيب الشاعر لسمات المجتمع ، ويصبح قلبه مرآة تنعكس عليها خصائصه و ميزاته .

قوة العلم محمود سامي البارودي

..... وقد بيّن الأديباء دور العلم في بناء الأمم على مرّ العصور فمّا لاشكّ فيه

أنّ العلم أساس حضارة الأمم و به ترقى الدول و تزدهر فأبى دولةٍ أرادت أن تتقدم و تتطور لا بد لها أن تتسلح بالعلم و المعرفة فله الأهمية القصوى في الوصول إلى ما تصبو إليه العقول النيرة لبناء أسس الحضارة ، فقد عبر عن ذلك الشاعر محمود سامي البارودي من خلال تأكيدهِ على مكانة العلم في بناء الحضارات و رقيّها قائلاً:

بقوة العلم تقوى شوكة الأمم فالحكم في الدهر منسوبٌ إلى القلم

..... و قد أظهر الأديباء الفرق بين دور السيف والقلم ، و تفضيل العلم على القوة و لطالما قدم الأديباء العرب العلم على قوة السلاح باعتبار العلم هو المحرك الأساسي للقوة فلا قيمة لسلاح دون عقل يوجهه بالعلم ترتقي الدول و تتقدم و قد أكّد ذلك الشاعر محمود سامي البارودي قائلاً :

كم بين ما تلفظُ الأسيافُ من علقٍ و بين ما تنفثُ الأقلامُ من حكمٍ

..... و قد بين الأديباء أنّ التفاضل بين الناس يكون بالعلم لأن العلم أساس رقيّ العقول و الأخلاق معاً و به تصان الحضارات و تمنع إراقة الدماء و نجد ذلك عند محمود سامي البارودي الذي جعل أساس التفاضل بين الناس قائلاً :

لو أنصف النَّاسُ كانَ الفضلُ بينهم بقطرةٍ من مدادٍ لا بسفكٍ دم

..... لقد دعا الكثير من الأدباء إلى طلب العكوف على العلم لبلوغ المنزلة الرفيعة من خلال جني ثمار العلم بالمتابعة و الجد في الحصول عليه بكل الطرق المتاحة و هذا ما دعا إليه محمود سامي البارودي في قوله:

فاعكف على الغمِّ تبلُغْ شأؤَ منزلةٍ في الفضلِ محفوفةٍ بالعزِّ والكرم

..... لقد دعا الأدباء إلى طلب المتابعة على العلم لنيل ثماره ، ولأنَّ لكلِّ علم نتائج نافعة تبني وتطور الحضارة كان لابدَّ من حاصدين لهذه الثمار النافعة ، وليس يقطف هذه الثمار إلا الذي يصدق في مطلبها ، وهذا ما دعا إليه محمود سامي البارودي قائلاً:

فليسَ يجني ثمارَ الفوزِ يانعةً من جنةِ العلمِ إلا صادقُ الهمم

.... وقد أظهر الأدباء العرب إنَّ العلم سبيل العدل و سبيل صلاح الأمم ، فالعلم يبني أحسن الأخلاق في الفرد و ينمي فيه العدل ، ويعلمه أنَّ الفرد يسعى للعلم ليطور مجتمعه و يحقق فيه العدل و يحرز مكانة لأُمَّته بين الأمم الأخرى و هذا ما أوضحه محمود سامي البارودي قائلاً :

فاستيقظوا يا بني الأوطانِ وانتصبا للعلمِ فهو مدارُ العدلِ في الأمم

..... و كثيراً ما كانت الدعوة لنشر العلم و بناء المدارس هدفاً يسعى إليه الكثير من الأدباء ، وفي مقدمة هؤلاء محمود سامي البارودي الذي وجد أنَّ بناء المدارس سبيلٌ لتحقيق رغد العيش قائلاً في ذلك :

شيدوا المدارسَ فهيَ الغرسُ إنْ بسقتُ أفنانهُ أثمرتُ غضاً من النعم

.... لقد أبرز الأدباء دور العلم في بسط العدل وتدهور حال البلاد من دون العلم، فالعلم هو الركن الأساسي في بناء العدل في أي مجتمع يسعى لحجز مكانٍ لهو بين المجتمعات وقد بيّن ذلك محمود سامي البارودي قائلاً :

و كيفَ يثبتُ ركنُ العدلِ في بلدٍ لم ينتصبَ بينها للعلمِ من علمٍ

... وقد أظهر الأدباء صفات طلاب العلم في المدارس و بيّنوا دورهم في بسط العدل الذي ينشده الجميع للوصول بالمجتمع إلى أرقى المراتب التي يفرق فيها الإنسان بين المستغل القوي وبين الإنسان البسيط وقد أوضح ذلك محمود سامي البارودي قائلاً :

قومٌ بهم تصلحُ الدّنيا إذا فسدتُ ويفرُقُ العدلُ بين الذئبِ و الغنم

.....ولأنّ الفضيلة سرُّ خلود العالم فقد ربط الأدباء العلم بالأخلاق الفاضلة و
الحسنة، فعلى مرّ العصور صاحب العلم يبقى اسمه خالداً بعد فناء جسده و هذا ما
دعا إليه محمود سامي البارودي في قوله :

لولا الفضيلة لم يخلدْ لذي أدبٍ نكّرْ على الدهرِ بعدَ الموتِ و العدمِ
مروء و سخاء خير الدين الزركلي

.....لقد أظهر الأدباء التّأثر بحال الفقراء و التعاطف معهم فقد تأثر الشاعر بحال
الأسرة الفقيرة ، فبكاء الولد من الجوع أثار حزن الأم وهذا ما بعث الألم في نفس
الشاعر خير الدين الزركلي الذي اشتعل في قلبه جمرةً لا تنطفئ قائلاً في ذلك:

بكى و بكتُ فهجّ بي البكاءُ شجوناً ما لجذوتها انطفاءُ
ولعلّ الفقر والحاجة زادتْ من تلاحم الروابط الأسريّة بين أفراد الأسرة الفقيرة
فالابن يقبل أمه راجياً منها عدم البكاء ولكنّ ذلك زاد من ألمها وحزنها لأنها لا
تستطيع إسكات جوع أطفالها وفي ذلك يقول خير الدين الزركلي :

جثا ضرعاً يقبلُ راحتها و يدعوها فيؤلمها الدّعاء

..... لقد أظهر الكثير من الشعراء برّ الأبناء بأهلهم فهذا خير الدين الزركلي يظهر
تخفيف الابن من ألم أمّه في أبياته قائلاً:

لئن ساءتْ بنا الأيامُ حيناً فربّتما نُسرُّ بما نساءُ

..... وغالباً ما كان الأدباء يظهرون بساطة الفقراء في تعويل أسباب فقرهم على
القدر ناسين في ذلك نهب المستغلين لمقدرات البلاد وخيراتها فالشاعر مرآة المجتمع
تظهر فيها كلّ شيء وهذا ما بيّنه الزركلي في قوله:

بنيّ رويدَ عدلك إنّ شجوي لمّا ألمّ بنا القضاءُ

... ولم يكتفِ الأدباء و الشعراء بالقول و الحديث فقط، فتقديم الشاعر يد العون
للأسرة الفقيرة في مجتمعه أمراً غريباً فالزركلي مثلاً حاول الاقتراب من إحدى
الأسر الفقيرة و تقديم المساعدة قائلاً في ذلك:

فجئتُ إليهما أمشي الهويني كمشي الشيخِ أعجزه العناءُ

و قلتُ : إليّ و الدنيا بخيرٍ لقد سمعتُ دعاءَ كما السماءُ

... ولقد كان الإحساس بالفقراء والإحسان لهم و الدعوة للبرّ والإحسان والتشجيع
للتكافل الاجتماعي من الدعوات التي ارتفع بها أصوات الكثير من الأدباء و الشعراء
فهذا خير الدين الزركلي يقول في الدعوة ذاتها :

هلمّ إلى مبرّة أهلِ فضلٍ شعارهم المروءةُ والسخاءُ

.... ولم يقف الأدباء من معاناة الكادحين موقفاً سلبياً بل صوّروا بأسهم و معاناتهم من استغلال المستغلين هذه المعاناة التي جعلت من الأمم تنطق بوجعهم و تطلب منهم الرحيل إلى البعيد وفي ذلك يقول أدونيس:

في أول العام الجديد
قالت لنا

آهاتنا ، قالت لنا :
شدّوا الرّحال إلى بعيد ،
أو فاسكنوا خيم الجليد
فبلادكم ليست هنا

....لقد عبّر الأدباء عن حزنهم الشديد اما حلّ بأبناء أمتهم و مجتمعهم، فصوّروا معاناة الكادحين و أعلنوا تمردهم على المحتلين و المستغلين رافضين الدّل و الهوان ، وهذا ما جعلهم يعانون معاناة شعبهم ويجوعون و يتشردون مع أبناء شعبهم ، وفي ذلك يقول أدونيس:

مشتتون مضيّعون على الدروب
صفر السواعد و القلوب
الجوع كلّ ندائنا ،
و الرّيح بعض غطائنا
حتّى الصباح يفرّ من آفاقنا ،
و يغيض في أحداقنا

.... لقد عبّر الأدباء عن التصميم على النضال للخلاص من الواقع المرير و دعوا لمواجهة الاستغلال و استعادة الحقوق و أوضحوا رفض الشعب العربي لواقع الدّل و الاستغلال ، و برغم كل العواقب التي يترتب عليه قرار مواجهة من تضحية و تقديم الغالي و النفيس في سبيل تحقيق الغايات المنشودة و هذا ما أكّد عليه الشاعر أدونيس الذي صوّر هذا التصميم قائلاً:

أقلوبنا! رفقا بنا، لا تهربي
وتقحمي عنف المصير
في الجوع في اليأس المرير ،
و هنا ، على هذا التراب ، تترّبي
فغداً، يُقال :
من أرضنا طلع النّضال و نما على أشلائنا
و ندائنا
و على تفتّنا البعيد
لغدٍ جديد